

عراقيل ترجمة التعابير المسكوكة في الخطاب السياسي
(نماذج من خطابات السيد رئيس الجمهورية، عبد المجيد تبون)

The Obstacles of Translation Idioms in Political Discourse (Examples for Presidential Discourses, Mr. Abdelmadjid TEBBOUNE)

بشير عابد

معهد الترجمة، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر

psi_4@outlook.fr

تاريخ الاستلام: 2022/07/19 تاريخ القبول: 2024/06/02 تاريخ النشر: 2024/06/30

ملخص:

تعتبر التعابير المسكوكة نصيَّات مركزة تجمع بين عمق المعنى وجمال المبني، إذ لا يمكن الاستغناء عنها في صياغة الخطابات الإقناعية من مثل الخطاب السياسي. لكن هذه الخصوصية تضع مترجمها في سياقها السياسي أمام عراقيل جمة. في هذه الدراسة سنسلط الضوء على أهم عراقيل ترجمة هذا النوع من التعابير والتقنيات التي استعملها المترجمون لتجاوزها، والتي تنوعت حسب المترجم وضرورة الترجمة.

الكلمات المفاتيح: التعابير المسكوكة؛ المترجم السياسي؛ العراقيل؛ الترجمة.

Abstract:

Idioms are short condensed texts, which combine between the deepest meaning and the beautiful building. And we can't realize an argument discourse, as the political discourse, without it. Their privacy put her translator face to many obstacles to translate it in the political context. So, the goal of this study is sitting, from one side, the importance of idioms expressions in the political discourses, and, from another side, his translation methods which divers giving the choice to the interpreter, depending on his competence and the nature of the idiom's expressions.

Keywords: Idioms; Political Translator; Problems; Translation.

مقدمة:

يقوم الخطاب السياسي على دعامتين تتمثلان في كلمة القوة أو الفكرة، وقوة الكلمة المعبر بها عن تلكم الفكرة. ولا شك أن التعبير الجامع بين القوة والبلاغة يجذب النظر ويثير

الاهتمام حتى ولو كانت الفكرة المحمولة عبره تتّصف بالضعف، وهذا على نقيض الفكرة الجميلة المنقولة إلى الوجود في قالب لغوي يجمع بين الضعف والرداءة أو العادي في أحسن الأحوال. لذلك فالسياسي مدعو إلى امتلاك القدرة على تطويع اللغة وتهذيبها وحسن صياغتها، وذلك باختيار العبارات القادرة على تلقي فكره وحمله، والإفصاح عنه بأسلوبه الخاص المتفرد لأجل التأثير على متلقيه وتبنيهم لرؤيته من جهة، والمحافظة على حقّه في الريادة والقيادة المستمد من إيمان متلقي خطابه به من جهة أخرى.

يعتبر اعتماد التعبيرات المسكوكة في الخطاب السياسي من بين أهمّ الأساليب اللغوية التي أثبتت نجاعتها وقوّتها الإقناعية والتأثيرية على جمهور المتلقين. فإن كان استعمالها يعكس مدى تحكّم السياسي في لغته وقدرته على استحضار الأقوال الموحية والداعمة لنظرته وإلمامه بثقافة المتلقي لخطابه، فإنّه يعكس كذلك تقاسمه ومشاركته لميولاته واهتماماته وتاريخه إن كان ينتهي إليه، والاحترام والإلمام به في حال عدم الانتماء إلى نفس الثقافة أو الرؤية.

أدّت العوامل التاريخية كالاستعمار والثقافية كالموروث الثقافي والانفتاح على الآخر إلى تنوع التركيبة اللغوية للعنصر البشري في مختلف دول العالم عامّة والجزائر خاصّة، كما أثرت القواميس الشخصية الخاصّة بعبارات وتراكيب جديدة في إطار التبادل اللغوي والثقافي والتداول الاختياري الحرّ، والإجباري الحتمي حتمية إيصال رسالة الحاكم إلى جموع المحكومين على اختلاف ألسنتهم وتنوع أنساقهم الثقافية. وهذا ما من شأنه إضفاء بعض الحساسية في اختيار التعبيرات المسكوكة وطريقة نسجها من جهة، وي طرح إشكالية طريقة ترجمتها إلى مختلف اللغات المتداولة من جهة أخرى، خاصّة في إطارها السياسي الممنوع فيه الخطأ في المرحلتين (الصياغة والترجمة). كما أدّى التعطش إلى المعلومة السيادية في الجزائر كما في غيرها من دول العالم إلى إنشاء دور نشر وإعلام بلغات مختلفة، كما اعتمدت وكالات الأنباء الرسمية في مختلف دول العالم سياسة ترجمة الخطابات السياسية إلى مختلف اللغات المعتمدة في نطاق تأثير الخطاب السياسي الملحق.

وبذلك تعود نفس الإشكالية إلى فرض نفسها حول طريقة اعتمادها في الخطاب الرسمي، وطريقة تعامل تلك الوسائل الإعلامية مع المسكوكات اللغوية، فما هو السلوك الترجمي المتبع لترويض هذا النوع الخاص من التعبيرات المستعملة في السياق السياسي؟ وهل هذا السلوك ثابت قار، أم أنه متغير تغير التعبيرات ومترجمها؟

تقتضي الضرورة العلمية البحث عن إجابة لهذا التساؤل الذي أسال الكثير من الحبر، والخوض في طبيعة التعابير المسكوكة قبل ولوج العالم العملي المتمثل في ترجمتها. لا يمكن أن نستشف إجابة تتمتع بالمصدقية وقوة الإقناع من غير الحقل العملي الترجيحي، لذا فقد كانت ترجمة الخطاب الرئاسي الجزائري حقلا عمليا خصبا ولجناه دون غيره، وذلك نظرا للمرحلة الحساسة التي مرت بها الجزائر في الآونة الأخيرة من جهة، والزخم التعبيري الذي تحتويه من جهة أخرى.

1- التعابير المسكوكة:

رغم التباين الواضح بين المنظرين في ميدان اللسانيات حول مسألة تسمية هذا النوع من التعابير، إلا أن تعريفاتهم لها ولطبيعتها وأهميتها البلاغية كانت تصبّ في نسق واحد، إذ يقول الجرجاني "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل إليه بدلالة اللفظ وحده... ضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل" (الجرجاني، ع، 1981: 173)؛ لقد تطرّق الجرجاني في دراسته للخطاب ومكوناته اللغوية والدلالية إلى مصدر من مصادر السكّ اللغوي معتبرا بذلك التعابير المسكوكة ضربا من ضروب الكلام الغير العادي، وهذا لتوفره على معنى أعمق من دلالة أفراده اللغوية، أو استناره خلف المكونات اللغوية للكلام.

وبذلك فإن المعنى المراد بالكلام يتمتع باستقلالية في اتحاد ألفاظه عن المعاني الفردية لنفس مكوناته اللغوية في تفردا واستقلاليتهما، فعبارة "فلان جبان الكلب" لا يراد بها وصف الكلب بالجبن وإنما وصف صاحبه بكرم الضيافة.

يصاغ هذا الضرب من الكلام في لغة ما باللجوء إلى البلاغة والبيان فيها، ولا يُنال المعنى المراد منه إلا بهتك الأستار اللغوية وإعمال معاول تفكيكية للغة والخطاب كدراسة سياق القول وأصله ومناسبة إنتاجه، وهذا ما أكدته لوروا (Leroi) في نفس السياق.

تناول عباس الصوري تكوّن ونشأة هذا النوع من التعابير مطلقا عليها تسمية التعابير المسكوكة، ومتطرقا إلى واحدة من أهم مميزاتها المتمثلة في عدم قابلية التحوّل أو إدخال تغييرات على الأفراد اللغوية المكوّنة لها، سواء أكان هذا بالتغيير أو تبديل مواضع الكلم أو إضافة أو حذف لعنصر أو عناصر لغوية، حيث قال "والتعبير المسكوك قد لا يكون دائما مسكوكا، فهو قبل أن

يصبح أصمًا كان لا محالة قابلاً للإنتاج ثم توقف عن التحول ليستقر في صورة واحدة، وأصبح مسكوكاً" (الصوري، ع، 2002: 116) وأضاف أيضا "هي إذن عبارات تشكلت لغايات تداولية، وبناءؤها لا يعتمد على قوانين التركيب المعروفة في الجمل العادية، لأنها جامدة على صورة واحدة..." (الصوري، ع، 2002: 118).

في حين أطلق عليها آخرون تسمية التعابير الاصطلاحية لتواضع أبناء نفس اللغة عليها دلالة وتركيبا، حيث يعتبر كريم زكي حسام الدين من أبرز مؤيدي هذه التسمية، فعرفها كما يلي "التعابير الاصطلاحية هي نمط تعبيرية خاص بلغة ما، يتميز بالثبات ويتكون من كلمة أو أكثر تحولت من معناها الحرفي إلى معنى مغاير اصطلاحت عليه الجماعة اللغوية" (كريم، ح، 1985: 33).

وما بين هذا وذاك، ارتأى لسانيون آخرون استنباط تسميات لها ابتداء من خصائصها التركيبية والوجودية، فأطلقت عليها لوروا (Leroi) في نفس المرجع تسمية "التعابير المتعددة الكلمات" (Les expressions multi-mots) و« unité phraséologique »

إن كانت خاصيتها المورفوتركيبية تتمتع بنوع من الجمود والثبات، فإن مصادرها تتمتع بالتنوع تنوع النصوص وصائغها من الكتب المقدسة إلى الأمثال والحكم، مروراً بالشعر والأقوال المأثورة عن الفلاسفة والحكماء.

ومما لا ريب فيه أنّ الترجمة وإن كان من بين أدوارها مشاركة الثقافة وإعطاء صبغة عالمية لكل ما هو محلي يرقى لمستوى المشاركة، فإنّها تعتبر من أهم مصادر التعابير المسكوكة ومثال ذلك عبارة "دموع التماسيح"، والعبارة الفرنسية "رفع القبعة" (tirer le chapeau أو chapeau التي تفيد الاحترام والتقدير، وهذا ما أكدّه برمان عند تطرقه لمفهوم الترجمة المتمركزة عرقيا، واصفا إياها بأنها ترجع كل شيء إلى الثقافة الخاصّة بالمترجم وذلك بإخضاعه وتحويله إلى المساهمة في إثراء الثقافة المترجم إليها (برمان، أ، 2010).

الاحتكام إلى التعابير المسكوكة في صياغة الخطاب السياسي أمر لا ينتطح فيه عثران، وهذا لكونها تجمع بين عمق المعنى والتأثير، والدلالة بأقل تكلفة لغوية مفردانية. وقد أثبتت الدراسات أن هذه التعابير تشكل ما نسبته 40% من كفاية المتكلم (بولعلام، ع، 2017: 43)؛ أي أنه لا يمكن صياغة كلام تجريدي مجرد منها في أغلب الأحيان، ناهيك عن الخطاب السياسي الذي

يتمتع بأهمية بالغة في العملية التواصلية والتأثيرية التي يرقى منها كسب ثقة المتلقي ومشاركته نفس الرؤى المطروحة.

استحضار التعابير المسكوكة دلالة على البلاغة والتمكن من اللغة، وتبني ومشاركة جمهور المتلقين نفس الجذور الثقافية (خطاب محلي) ونفس الاهتمامات والأهداف، كما أن السياق الذي ترد فيه هذه التعابير يكون إما لتأكيد المعنى وذلك بإثارة النفس وجذب الانتباه، أو تكرار المعنى السابق الذكر أو المعنى الموالي تمهيدا لتقبله، أو لتضمين المعنى المراد والإشارة إليه والتأكيد عليه دون التصريح بذكره. فاستعمال التعابير المسكوكة في الخطاب عامة والسياسي خاصة يكون إما من أجل بناء المعنى، أو الإشارة إليه (حيث ترد التعابير المسكوكة وحدها متضمنة المعنى المراد) فهي إذن مسكوكات بنائية، وأخرى استهلالية مفتوحة للخطاب، وأخرى تكرارية تكون ممهدة للكلام سابقة له أو مؤكدة له معقبة عليه وذلك بتكرار المعنى الصريح بأسلوب آخر أكثر بلاغة وأجمل أسلوبًا، أو داعمة له كالاكتكام إلى النصوص المقدسة لإعطاء الفكرة المطروحة صفة القداسة، فمنها ما كان خلاصة ذكريات مختزنة ومختزلة للتذكير كالأمثال والحكم، ومنها عبارات تتضمن عبرا للاعتبار والتعبير كالشعر، ومنها آثار العقل والفلسفة كالأقوال المأثورة والاقتباسات وغيرهما، ومنها آيات محكمات كاملة التكوين والتأثير في النفوس تمثل شريعة موجد الوجود.

2- المترجم السياسي:

الترجمة بين عدم تحدّد تعريفها لعلو شأنها وحدائث علمتها، كانت ولا زالت أقدم العلوم النبيلة وأنبل المهن القديمة، بل إنها وصلت إلى حد القدسية والتقديس وذلك لقداسة النصوص التي حاولت نشرها ونشرتها (برمان، أ، 2010: 27). وتبقى الترجمة حكرًا على طبقة معينة من البشر الموسومين بالثقافة والعلم من جهة - فهم أعلم علماء المكان بلغات وثقافات ذلك الزمان - والنبيل والأمانة من جهة أخرى، فالمترجم ينصاع لسادية وإرادة ملقي الخطاب لإشباع شغف وفضول المتلقي في معرفة وإدراك ما يدور حوله وما يصل سمعه، وفك شيفرة الرسائل الواصلة والمراد إيصالها إليه.

حسب الدكتور عناني، فإن الفرق الوحيد بين المترجم وصاحب النص الأصلي أو ملقي الخطاب يكمن في أنّ الأول يعيد صياغة أفكار الثاني وفق أسلوبه الخاص (عناني، م، 1992: ج)؛ أي أن الاثنين يتقاسمان ملكية الخطاب في صورته المترجمة، فالمترجم يمتلك الجسد المتمثل في

الصورة اللغوية للخطاب، وتعود ملكية الروح المعنوية المتمثلة في الرسالة المرجو إيصالها والصورة المعول رسمها في وعي المتلقي إلى ملقيه أو كاتبه الأول، بينما يحتكر صاحب الخطاب ملكية خطابه في صورته الأولى في اللغة الأصل.

أما الدكتور بدوي فقد غاص في ملكة المترجم اللغوية والأسلوبية، حيث وصف المترجم بالكاتب صاحب الحرية الإبداعية المقيدة بالولاء التام للنص الأصلي وصاحبه من جهة، والضوابط المهنية من جهة أخرى (بدوي، س، 1973: 79)

وما بين هذا وذاك، يصف بول ريكور المترجم بأنه مالك العمل المترجم لأنه منتجه، غير أن هذا التملك حسب رأيه "بقدر ما هو نتيجة لإكراه ما، بقدر ما هو تأكيد لحرية" (ريكور، ب، 2008: 26)

يعتبر المترجم وسيطا (Rakova, S, 2014: 65) ذلك لأنه ينقل فكر شخص إلى أشخاص آخرين. فالمترجم وسيط بين ملق إيجابي من جهة - لكونه الفاعل الأساسي في العملية التخاطبية ونقطة انطلاق العملية الترجمية فهو صاحب الفكرة المجسدة في الخطاب، وبذلك يمكن اعتباره المحرك الأول للعملية التخاطبية الترجمية - ومتلق سلبي من جهة أخرى، حيث تكمن سلبية هذا الأخير في عدم إدراكه لما يدور حوله بسبب عدم إلمامه بلغة الرسالة الموجهة إليه بين ثنايا الخطاب الملقى. فوظيفة المترجم تتلخص في جعل المتلقي أكثر إيجابية وأكثر تفاعلا مع الخطاب السياسي الملقى، وذلك برفع اللبس اللغوي ونفي صفة الغرابة عن لغة الخطاب باستبدالها بأخرى مألوفة ومعروفة لدى المتلقي، ولا تقع على عاتق المترجم مهمة إعادة الصياغة لنقل الكم المعرفي وحسب، بل تتعداه إلى إعادة صياغة المكوّن الجمالي والثقافي، وهذا ما أكده الكثير من علماء الترجمة من أمثال نايدا (Nida) ومن يدور في فلكه. غير أن عملية إعادة الصياغة لا تتطلب كفاءة لغوية وقدرات تخاطبية في اللغة الهدف وحسب، وإنما تتعداه إلى معرفة والإحاطة بالأعراف اللغوية للمستقبل ومعاني الكلمات ودلالاتها الخاصة بالمخاطب، وليس تلك المتعارف عليها فقط، ذلك لوجود اختلافات في استعمال نفس اللغة من طرف المنتسبين إليها، وخير ما يستدل به وجود كنتين للغة الإنجليزية، هما الإنجليزية البريطانية والإنجليزية الأمريكية.

يسير المترجم في درب الترجمة على خطى ملقي الخطاب، فيستخرج جوهر كلامه من محار كلماته ليصنع بها عقدا فريدا مكوّن من مجموعة لآلى معنوية مترابطة بخيط لغوي مستخرج من حنايا الملكة اللغوية للمترجم، ومن ثمّ يهديه إلى وعي المتلقي. فالخطاب بعد إنتاجه يصبح مُلكا

للمترجم بكلماته وتعاييره ومعانيه الجليّة والخفيّة. والتّمكّن في معناه البسيط حسب ريكور (Ricœur)، يفيد أن المترجم يقوم بتغييرات على الخطاب بطريقة واعية أو لا واعية، فيصبح بذلك في نسخته اللغوية الجديدة أكثر ارتباطاً بالمترجم منه إلى صاحبه الأصلي "كل ترجمة تملك ... وهذا التملك بقدر ما هو نتيجة لإكراه ما، بقدر ما هو تأكيد لحرية" (ريكور، ب، 2008: 26)

وما بين عبارة منتجة وعبارة قيد الإنتاج، يفتش المترجم عن عبارة ليست ككل العبارات، فهي القادرة على حمل نفس المعاني وتجسيد نفس الإيحاءات الموجودة في الخطاب الأصلي، فيفتش عن تلك العبارة هنا وهناك في ثقافته ومعلوماته، في فطرته وفطنته، في تجاربه وسجيّته. وبينما يحاول المترجم صياغة الجمل والكلمات، ينتظر الجميع تردّد صدى الخطاب الملقى بلسان آخر مألوف لشخص يمكن أن يكون غير معروف، ذلك لأنّ الزمن المنتظر زمانه هو والقول الفصيل قوله هو، فتصمت الحناجر وتنصت الأذان في انتظار كلامه هو، فالمترجم ملك الصدى (ريكور. ب، 2008: 23).

لكن هل يمكن لمترجم الخطاب السياسي استغلال ذلك النفوذ الممنوح له لإعطاء ترجمته بعدا شخصيا؟ وهل يجوز له الخوض في المحظورات والكشف عمّا لم يفصح عنه الخطاب الأصل؟ وإلى أيّ مدى يمكن لمترجم الخطاب السياسي أعماله معاوله التفكيكية لإعادة بناء نص ترجمته؟

كتب شارل فونتان (C. Fontaine) عن الترجمة قائلا "يتعين على كل راغب في إنجاز ترجمة جيدة، التقيد بالأشياء الثلاثة التالية: أولا عليه أن ينقل ويحتفظ بالفاظ وتعايير المؤلف (صاحب الخطاب) بأكبر قدر من الأمانة، وهو ما يمكننا تسميته بالرداء. ثانيا، عليه أن ينقل المعنى كاملا، لأنّ من أغرب الأمور ترك المعنى أو جعله غامضا، وهو ما يمكننا تسميته بالجسد. ثالثا، عليه أن ينقل وأن يعبر ببساطة عن اللباقة الطبيعية وعن فضيلة وطاقة ولطف وأناقة وكرامة وقوة وحيوية الكاتب الذي يريد ترجمته وهو ما يمكننا تسميته بروح الدعاء" (برمان. أ، 2010: 105)؛ رسم فونتان (Fontaine) في مقولته نهجا وخطّ منهاجا واجب الإتياع حسب إنجاز ترجمة وصفها بالجيدة، واعتمد في ذلك على تحليل النص إلى ثلاثة مستويات لقبها بالرداء ثم الجسد ثم روح الدعاء، لكنه لم يخض في ماهية الوسائل المستعملة وحدود استعمالها في حياكة ذلك الرداء ونحت ذلك الجسد وترانيم ذلك الدعاء، فهل كل متاح مباح في إعادة البعث والتجسيد للنص الأصلي في اللغة الهدف؟

لا تنحصر ممارسة الترجمة في التلقي أو إعادة الصياغة أو التقديم، كما أنّها لا تنحصر كذلك في عملية التواصل، ولكنها التزام ومسؤولية (Rakova, S, 2014: 79). وقد ذهبت راكوفا في نفس السياق إلى اعتبار المترجم وريثا بل ووصيا على الخطاب ونصّه، وأنه يجب عليه تعهّد البذرة التي أوكلت مهمة الاعتناء بها إليه وإعادتها على شكل شجرة.

إنّ تشبيه راكوفا (Rakova) الرسالة المراد إيصالها أو المقصد من الخطاب بالبذرة دليل على أن اللغة هي الشجرة، لكن ألا يجب على المترجم تعهّد وتهذيب وتقليم شجرة لغته لتكون الثمار المنتجة بنفس حجم وجودة البذور المغروسة؟ وهل يملك المترجم صلاحية تطعيم تلك الشجرة بطعم من اختصاصه واختياره لإعطاء ثمرها صفة لم تكن في ثمر الأم؟ خاصة إذا كانت تلك البذور مزروعة في تربة تتمتع بدرجة عالية من الحساسية كالخطاب السياسي.

الخطاب السياسي هو الإنتاج اللغوي المراد به إيصال رسالة ورسم صورة معينة لدى متلقيه، يستعمل السياسي اللغة في خطابه على مرحلتين تتمثلان أساسا في التفكير ثم الكلام، وينقسم التفكير بدوره إلى قسمين: فكر شخصي (النية من الخطاب) وفكر مشترك (المراد مشاركته ونقله إلى الآخر)، ومن هنا نجد أن السياسي يقوم بإنتاج خطابين متزامنين، أحدهما يخاطب به نفسه وهو السر، والآخر يخاطب به غيره وهو العلن.

إذن هل تحليل الخطاب السياسي وقراءته من أجل ترجمته هو ثنائية قراءة الرسمي والمسكوت عنه؟ أم أن القراءة تتسع لقراءة الأغلبية الصامتة لتلك الخطابات؟ أم أن تحليله هو قراءة منظور النص من كل جوانبه وقراءة العلاقات بين مختلف البنيات التأسيسية والتجسيدية للخطاب السياسي في إطار عالم مفتوح، أي قراءة الواحد المتعدد؟

ليس من شأن المترجم البحث في تطابق السرّ والمعلن من الكلام، فالمترجم يتعامل مع النص لا مع الشخص، ومع الخطاب لا مع المخاطب أو المخاطب، والالتزام الحياد أمر أخلاقي فهو لا يميل إلى المترجم له كما لا يعادي المترجم عنه.

فما يهم المترجم هو إدراك المتلقي للرسالة المرسله بعيدا عن مدى دقتها ومطابقتها للواقع، فالترجمة حسب كريستوف أسكاني (C.Askani) تتلخص في "خدمة سيدن، الأجنبي في غربته والقارئ في رغبته في التملك" (ريكور، ب، 2008: 45) ومن هنا نجد أن مهمة المترجم تنحصر في التعامل مع نص الخطاب الوارد إليه، لكن هل يحق للمترجم أن يبدع ويضيف، أو ينقص من الخطاب، أم يجب عليه الالتزام التام بنص الخطاب الأصلي؟

تعكس عبارة "إنَّ واجب ومهمة الكاتب، هما أيضا واجب ومهمة المترجم" (برمان، أ، 2010: 40) مدى ثقل المهمة الملقة على عاتق المترجم في صياغة نصّه لإحداث نفس التأثير وب نفس الدرجة وكذا الالتزام التام بفحوى الخطاب إلى درجة التمثيل بصاحبه، لكن الإضافة والإنقاص يعتبران إعمالا للذاتية الشخصية للمترجم في إنتاج خطاب شخصي يحمل أحكاما شخصية للمترجم على ما يجب أن يقال وما لا يجب أن يقال، وبذلك يكون المترجم قد تعدى على حرمة الخطاب وصاحبه. فالمترجم مقيد ومجبر على اتباع نهج من سبقت خطاه ومن أملى رؤاه على رؤياه، فهو مقيد بأخلاقيات وضوابط علمية عملية، ومجبر على نثر الكلام على سجيته ليعبر بالرسالة المرسله ويضيء للمتلقي سراج إدراك المعنى. لكن ألا يفرض التباين اللغوي بين لغات عمله والدلالات المكتنزة في التعابير المسكوكة على المترجم للخطاب السياسي انتهاك حدود المسموح البيّن إلى المشبوه المباح من أجل إعطاء ترجمته السيرة المحموده والمقام الرفيع الذي يليق بها؟

يعتمد المترجم على هدي البصيرة لتجنب إعطاء الترجمة سيرة شخصية، كما لا يجب عليه إيقاظ عواطف وأحاسيس نسي الملقى إيقاظها أو رفض ذلك، فالمفردات تقود المترجم ويقودها إلى حيث أراد صاحبها، وهذا ما ذهب إليه بول ريكور حيث قال إن المترجم يجب "أن لا يحوّل الترجمة إلى تعليق أو نقد" (ريكور، ب، 2008: 12) حيث يعد هذا الفعل تعديا صارخا على ملكية صاحب الخطاب لخطابه، وإخلالا بالعملية التواصلية بين طرفي الخطاب، ناهيك عن خصوصية الخطاب السياسي من حيث الحساسية والتأثير.

إنّ الوضعية التي لا يحسد عليها المترجم أثناء تأديته لمهامه والتي لخصها فرانز روزنزيغ (F. Rosenzweig) في مقولة "المترجم بين نارين: رغبة الوفاء وشكوك الخيانة" تجعل أي إعمال لمعاول فلسفية ذاتية أمرا محظورا، إذ إن ترجمة الخطاب السياسي لا يمكن لها تحمل الشك الفلسفي. (برمان، أ، 2010: 24-25) وبما أنّ الترجمة عملية تواصلية فإنّها تشترط معرفة عدّة مستويات بين المرسل والمتلقي منها المستوى الدلالي، وذلك عن طريق إدراك العلاقة بين الدوال المنتجة ومدلولاتها والقصد من نظمها، ف"القصد هو الذي يتحكم في الأفعال اللغوية كونه المحدد لشكلها ومعانها وطريقة صياغتها" (مصيطفى، ع، 2013: 22) فإدراك المعاني الصريحة والتعبير عنها بنفس الصراحة واجب، وإدراك المعاني الضمنية المضمرة وغير الصريحة وتضمينها في الترجمة بنفس طريقة الإضمار والتضمين أوجب، ف"السياسي في خطابه غالبا ما يميل إلى عدم إلزام نفسه بالتزامات صريحة وإلى عدم توريط نفسه" لذا كان لزاما على المترجم استبعاد كل نية

تعليق أو إضافة أو تفسير (رزيق، ح، 2017: 59)، ولذلك ضرب مثلا خطاب الرئيس الفرنسي ماكرون إثر أزمة سياسية مع الوم أ، أدلى فيه بعبارة يعبر فيها عن استيائه قائلا "أمريكا تمارس السياسة الأمريكية"، والتزم المترجم بالترجمة الحرفية للعبارة لتجنب أي تأويل شخصي من جهة، ولنقل حذر وعدم رغبة الرئيس الفرنسي في الدخول في عداوة صريحة من جهة أخرى.

3- ترجمة التعابير المسكوكة:

استنادا إلى ما جاء به برمان في كتابه "الترجمة والحرف"، فإنّ الهدف الأساسي لكل ترجمة هو إقامة علاقة مع الآخر على مستوى المكتوب وإخصاب الثقافة الخاصة عبر تلاقحها مع الثقافة الأجنبية، بحيث تكون العلاقة بينهما مبنية على مبدأ رايح - رايح، إذ تستفيد الثقافة واللغة المترجم إليها من كم لفظي وتعبيري جديد يثري معجمها التخاطبي والتداولي، بينما تستفيد اللغة والثقافة المترجم منها بالتعريف بها لدى الآخر ورسم الصورة الحقيقية لتلكم الثقافة والشعوب المتبينة لها.

لا يمكن إنكار أن التعابير المسكوكة تعتبر من أهم صور التعبير والتراث اللامادي التي تتجلى عبرها جمالية المبنى وكمالية المعنى، فهذه التعابير "تنبع من تراث الإنسان الأبدي الثابت الموسوم بطابع الفطرة السليمة والفطنة والتعقل فتؤلف خلاصة فلسفة عملية ومنهج عيش كريم" (حجار، ج، 1986: المقدمة)

إنّ الخطوة التي تنالها هذه التعابير في أصقاع المعمورة تزيد من تعطش الشعوب للإحاطة بثقافة الآخر وطريقة عيشه وتفكيره في زمن أصبحت فيه الثقافة حجر الأساس المعرفي ومرآة الشعوب، كونها قد استطاعت الخروج من بوتقة احتكار الفضيحة والتفوق على الذات، إلى الانفتاح على الآخر والتمتع بفضيلة السماح بالاختلاف ومحاولة فهمه واحترامه. (Brinjay, H, 2016 : 32)

كما أنّ ترجمة التعابير المسكوكة من شأنها إيجاد مقابلة ومقايضة بين ما ساهمت به عبقرية مختلف الأقطاب الثقافية واللغوية في العالم، ومن أجل هذا أوجدت معاجم وقواميس متعددة اللغات للتعريف بها عند الآخر في إطار تقابلي، وذلك من أجل الإحاطة بوجهة نظر الآخر إلى الأشياء ذاتها، إذ إن البشر يتشاركون نفس وسط التواجد وعلة الوجود مما يجعلهم يتشاركون نفس الاهتمامات، فيتفوقون أحيانا على رأي ويختلفون في طريقة التعبير عنه،

فالعربي يمجّد الوقت ويعطيه من الأهمية ما يجعله يقول "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك"، وكذلك عند الغرب « le temps c'est de l'argent »

4- عرا قيل ترجمة التعابير المسكوكة:

تعرّض معظم المترجمين والمنظرين للترجمة إن لم نقل كلهم إلى المصاعب والعرا قيل التي تعيق عمل المترجم وتحدّ من مدى كفاءة أدائه وتنتقص من قيمة إنتاجه اللغوي، ومن أبلغ ما قيل في ذلك ما جاء على لسان دوستايل (Madame de Staël) التي شهت عملية الترجمة بعزف مقطوعة موسيقية مؤلفة في الأصل للعزف على آلة موسيقية مختلفة تمام الاختلاف عن تلك التي يعزف عليها المترجم، فلا مخارج الأصوات تتشابه، ولا الآلات تتشابه، ولا حتى طريقة العزف تتشابه. (بحراوي، ح، 2015: 34)

كما شبه هوغو (Hugo) عمل المترجم بعمل المهندسين الذين يجعلون الجبال العالية صالحة للمرور، (برمان، أ، 2010: 130) لكن تمهيد وتهئية تلك الجبال ليس بالهين، شأنه شأن الترجمة التي تستدعي بذل جهد في تخطي مختلف العقبات لتهيئة الطرق ومد جسور الإدراك المعرفي، والنيل من شرف معنى الخطاب الأصل.

إنّ طبيعة التعابير المسكوكة كنصوص مركزة تحمل في طياتها أبعادا ثقافية تتمتع بالخصوصية الفكرية لمجتمع ما متجسدة في كم لفظي متفاوت الطول يُضمّر من المعاني والدلالات ما لا تبديه عناصره اللغوية، ليضع مترجمها أمام مشاكل جمة تدور كلها في فلك الأمانة الترجمة، فالمترجم حسب كريستوف أسكاني "رهينة خدمة سيدين، الأجنبي في غربته والقارئ في رغبتة في التملك" وبهذا فإنه يصطدم بإشكالية "مقاومة النص المراد ترجمته ومقاومة لغة استقبال الترجمة" (ريكور، ب، 2008: 30)

يسعى المترجم بكل ما أوتي من قوة معرفية وكفاءة لغوية وطرائق ترجمة لتخطي أهم عقبتين في ترجمة هذا النوع من التعابير، تتمثلان أساسا في عاملي هندسة اللغة واختلاف الثقافة وما ينتج عنهما، وذلك من أجل ردم الهوة وتقليص الفارق في كمالية التعبير والدلالة.

هذان العاملان تفرضهما السيادة الوهمية التي يتمتع بها النص الأصلي ويتقاسمها مع ملقيه ويفرضها على متلقيه من جهة، ورغبة نص الوصول في احتواء نظيره والتمتع بنفس قوة الإيحاء والتعبير ليكون ندا له في العالم التخاطبي، وكفؤا للحلول محله وتأدية ما كان يمكن أن

يؤديه الأصل لولا عامل غرابة اللغة من جهة أخرى، وذلك لإشباع لغة الترجمة بالغرابة الكامنة في اللغة الأصل، وإجبار اللغة الأصل إلى النزوح إلى لغة الترجمة. فهل سيوفق المترجم في رهانه؟ إنَّ هذا التساؤل الذي يتبادر في ذهن المترجم عند مباشرة كل عملية ترجمة، يجعله يترنح بين الأمل في الكمال الترجمي بإيجاد وإنتاج نسخة لغوية وسيطة مثالية من جهة، يقابله شك الوقوع في الخيانة الترجمية بعدم استيفاء وعكس الخطاب الأصلي في صورة تليق بأصالته في اللغة الهدف في الجهة الأخرى. (ريكور، ب، 2008: 19)

1-4 تحديد المعنى (la détermination du sens) :

يستوجب النيل من مقاصد الخطاب إدراكا بدلالات الألفاظ والتعبير المستعملة عن طريق إدراك العلاقة بين الدوال اللغوية والدلالات التي تحملها وتعكسها وتنقلها في سياق نظم الخطاب وإلقائه، كما تستدعي ترجمة الخطابات معرفة بخصائص هذا النوع من التعبير وطريقة توظيفها والمراد من استعمالها ومعناها الدلالي في سياقها التداولي.

إنَّ الإتحاد القائم بين اللفظ والمعنى في تشكيل المفردات والتعبير العادية يميل إلى منح الأول الحق في السيطرة على الثاني ورسمه وتحديد معالمه في سياق النص الأصلي؛ أي أنَّ المعنى يخضع لنوع من التبعية والعبودية اللغوية للفظ الحامل له.

في حين أثبتت الترجمة هشاشة اللفظ وضعفه المستشري بسبب خنوعه للحواجز اللغوية الشكلية، وأعطت بذلك حق الريادة للمعنى ومنحته حق حرية التنقل بين الأشخاص والثقافات لكونه قادرا على التمثل في كل اللغات بفضل كنهه المحسوس، لكن ماذا إن كان المعنى الأصلي يتمتع باستقلالية ذاتية عن اللفظ الحامل له؟ فكيف السبيل إلى إدراكه وعزله لمنحه حق السيادة المعنوية واختيار الجسد اللغوي الكفاء لحمله والدلالة عليه في اللغة الهدف؟

شبه سيرفانتس (Cervantes) الترجمة بالنظر في ظهر السجاد، حيث لا يتيح لصاحبه سوى رؤية العقد اللغوية (برمان، أ، 2010: 32)، إذن فصعوبة ترجمة التعبير المسكوكة لا تنتهي بتحديددها وحسب، وإنما تتعدى عملية التعرف عليها وتحديد وجودها إلى تحديد معناها والمراد من استعمالها في سياق القول الذي وردت فيه.

ومع تفاوت التعبير المسكوكة في درجة التعتيم الدلالي، فإنَّ ما يتحكم في عملية تحديد المعنى الصحيح والمراد منها هو الكم الدلالي المستقى من العبارة المسكوكة ومدى

موافقته للسياق الإلقائي، فمن التعابير ما يتمتع بصفة الغموض وتعدد الدلالات التي يمكن استقاؤها منه.

نضرب في هذا الصدد عبارتين مسكوكتين اختلف السلوك الترجمي في ترجمتهما:

عبارة "يوجد تحت الطاولة وفوق الطاولة" des histoires au-dessus ou sous les tables »

وظف الرئيس الجزائري السيد عبد المجيد تبون هذه العبارة في خضم حديثه عن القروض البنكية والطريقة التي كان يتم بها تمويل المشاريع الاقتصادية في الفترة التي سبقت حكمه، وهذا عند استعراضه لمشروعه الاقتصادي أمام قناة روسيا اليوم، مؤكدا التفاوت السلبي في التعامل والرد على طلبات القروض المالية، ففي حين كانت تقابل المشاريع الجادة بالرفض أو بإطالة فترة الدراسة كانت طلبات تمويل المشاريع الوهمية تقابل بالقبول الفوري في أجال لا تتعدى اليوم أو اليومين، ملمحا إلى وجود تعاملات سرية بين طالبي الدعم والمؤسسة المالية الداعمة في توظيفه لعبارة "تحت الطاولة".

وما كانت مقابلته لظرفي المكان (تحت وفوق) إلا للدلالة على اختلاف السر والعلن في المعاملة والتعامل، وهذا ما ورد في معجم المعاني، فعبارة "تحت الطاولة" تفيد السر، بينما تفيد عبارة "فوق الطاولة" العلى.

لهذه العبارة من الأهمية ما جعلها متداولة في الخطابات السياسية للهيئات التي تتعرض لسياسة الكيل بمكيالين، ومن ذلك نذكر ما جاء في حديث رئيس مكتب حركة حماس السيد اسماعيل هنية لبرنامج "ما خفي أعظم" رافضا الاجتماع بالإدارة الأمريكية قائلا: اللقاء الذي يناقش سلاح المقاومة وصفقة القرن هو لقاء مرفوض فوق الطاولة وتحتها.

كما استعملتها الكاتبة الصحفية فيحاء شلش في مقالها المنشور على صفحة عربي 21 بخصوص موجة التطبيع التي ركبها بعض الدول العربية قائلة: "قضية فلسطين 2020... التطبيع فوق الطاولة والضم تحتها".

احتكر التقابل الموجود بين كلمتي تحت وفوق المعنى المكتنز في العبارة والمراد من توظيفها، بينما دلّت كلمة الطاولة على وجود عدة أطراف على جوانبها لاستكمال التعامل بغض النظر عن نوعه، كما أن تمتعها بالتسطح المرتفع عن سطح الأرض يجعل منها حاجزا مرئيا ومعلما مرجعيا ينسب إليه التموقع والمقابلة بين الكلمتين، فما كان فوق الطاولة فإنه يتمتع

بميزة الظهور والعلن والقدرة على إدراكه وتمييزه، في حين أن ما كان تحتها فإنه يتمتع بالغموض والتعتيم والسرية، وهذا ما لمسناه في ترجمة موقع reverso لعبارة "تحت الطاولة" حيث حافظ على ترجمة ظرف المكان "تحت" إلى « sous » بينما فاضل في ترجمة كلمة الطاولة بين ثلاثة أشياء يجتمع حولها المتعاملون أو المتحاورون وهي: le comptoir, le bureau, la table إلا أنّ البحث في أغوار هذه العبارة قادنا إلى تقطيعها إلى شطرين، الأول هو "تحت الطاولة" حيث أن مكافئه الدلالي المسكوك في اللغة الفرنسي هو عبارة « sous manteau » أي تحت المعطف، بينما احتفظت ترجمة الشطر الثاني "فوق الطاولة" بالحرفية واستظهار الدال اللغوي "الطاولة"، ولعالمية هذا الشطر من العبارة فإنه تجسد كعنوان لرواية بوليسية لأجاثا كريستي (A. Christie) بعنوان « cards on table ».

اعتمد المترجم الفوري لقناة روسيا اليوم الترجمة الحرفية في ترجمة العبارة المسكوكة دون أن يهمل خصوصية اللغة الفرنسية القاضية باستنكار التكرار وضرورة تجنبه، ولأن العبارة المسكوكة قد احتوت على تكرار لكلمة الطاولة فإن المترجم حذف الأولى واحتفظ بالثانية دون أن يخل بالمعنى، فجاءت ترجمته على النحو التالي: « au-dessus et sous la table »

تمكن المترجم من استظهار المعنى والمحافظة على التشكيل اللغوي للعبارة الأصل، لكنه لم يحافظ على أسلوب الصياغة في الصناعة اللفظية للتقابل الموجود في العبارة الأصل، فكلمة dessus الفرنسية يقابلها كلمة dessous، بينما تقابل كلمة sous كلمة sur في نفس اللغة، لكن المترجم أخذ من كل ثنائية ما لا يقابلها شكلا ويقابلها مضمونا.

لا يمكن بأي حال نقد المترجم على هذا الإهمال وإن وجب استظهاره والتذكير به، ذلك لأنّ للمترجم الفوري ما يشغله أكثر من المحافظة على الأسلوب والبحث في قاموس المترادفات والمتقابلات اللغوية إلى تتبع الوحدات الخطابية وتحدي عامل الوقت واستظهار المعنى الأصل لمتلقي الترجمة بغض النظر عن الوحدات اللغوية المستعملة.

عبارة "الذي لا يستطيع فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها" celui qui n'est pas capable, peut se retirer

وردت عبارة "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها" في الآية 286 من سورة البقرة، وقد جاءت ترجمتها في النسخة الفرنسية المترجمة لمعاني القرآن ترجمة حرفية كما يلي:

« Allah n'impose à aucune âme une charge supérieure à sa capacité »

وقد عرض نعوم حجار ترجمتين مختلفتين لنفس العبارة، حيث اعتمد في الأولى على الترجمة الحرفية مفضلاً تقنية التحوير، فصارت العبارة:

« Dieu n'impose à personne un fardeau au-dessus de ses forces »

واستخدم التكافؤ في الثانية، فترجمها إلى:

« À brebis tondue, Dieu mesure le vent »

وردت ترجمة العبارة المسكوكة في النصين السابقين اعتماداً على الترجمة الحرفية، وما كان من المترجمين للعبارة إلا اعتماد هذه التقنية انطلاقاً من قدسية السياق الواردة فيه، فقدسية العبارة مستقاة من قدسية القرآن الكريم والآية الواردة فيها، وإن كانت الترجمة الأولى قد وردت ضمن ترجمة معاني القرآن، فإن ورودها منفصلة ومستقلة بذاتها في النص الثاني يجعلها تحتفظ بنفس تلك القدسية، وهذا في ظل غياب سياق تخاطبي يكسبها معنى تواصلية ويضفي عليها صفة الأدبية.

أما في الثالثة فقد جاءت العبارة "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" مترجمة للمثل الفرنسي « à brebis tondue, Dieu mesure le vent »، إذ لم يجد المترجم أحسن منها ليقوم مقام المثل الفرنسي، ورغم إلمامه بالمثل الفرنسي ومعناه إلا أنه لم يوظفه في سياق ترجمة العبارة، بل اختار عكس الأدوار الترجيمية لتقوم العبارة المسكوكة المتمتعة بطابع الكمال والقداسة المطلقتين والمعنى الصريح محل العبارة المتمتعة بطابع الكمال النسبي والتعظيم الدلالي الجزئي، فكانت ترجمته الأولى مكتسبة طابع الحرفية لنقل نفس درجة الوضوح والسلاسة التعبيرية للعبارة المسكوكة، في حين اعتمد التكافؤ في الثانية لإضفاء بعض القدسية على العبارة الفرنسية إضافة إلى المسكوكية المتمتعة بها.

إلا أنّ ورود العبارة المسكوكة "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" في الخطاب الرئاسي أعطاه معنى جديداً، فإن كان المعنى الأصلي يفيد تغيير الحمل حسب قدرة الأشخاص، فإنّ سياقها التخاطبي يفيد تغيير الأشخاص حسب قدرتهم على الحمل؛ أي أنّ في المعنى الأصلي جاءت العبارة مثبتة للشخص مغيرة للحمل حسب قدرة الأشخاص، بينما وردت في الخطاب الرئاسي مفيدة تثبت الحمل المتمثل في المسؤولية وتغيير الأشخاص في حال عدم قدرتهم على

تحمل تكاليفها، وبذلك يكون المعنى الأصلي للعبارة المسكوكة قد عرف انزياحا تاركا مكانه للمعنى الجانبي السياقي.

وهذا يمكننا القول بأن توظيف التعابير المسكوكة في غير إطارها المنتجة فيه يفتح لها توسعا ويعطي لمعانها امتدادات ترتبط بأنواع الخطاب المستعملة فيه وسياقات استدعائها، وهذا ما يجعلنا نعود إلى العبارة الشهيرة "إن شاء الله" التي استعملها المترشح للرئاسيات الأمريكية "بايدن" (Biden) أمام غريمه "ترامب" (Trump)، هذه العبارة عرفت بدورها انزياحا نحو المعنى المستعملة فيه المتمثل في "الاستحالة".

أدرك مترجم الخطاب الرئاسي المعنى المراد من العبارة المسكوكة، فما كان منه إلا أن عزل ذلك المعنى المحصل المحمول عن حامله اللفظي مسقطا بذلك جمالية التعبير وقُدسية العبارة أمام قُدسية الرسالة والمعنى، مستبدلا بذلك التضمين بالتصريح في قوله "من لا يقدر يستطيع الانسحاب" « celui qui n'est pas capable, peut se retirer ».

لقد كان اعتماد الرئيس الجزائري للعبارة المسكوكة نتاج وعي وإدراك بثقل المسؤولية من جهة ومراعاة لنفسية جمع المخاطبين من جهة أخرى، فجاء أسلوب التلطف بإبدال العبارة الحادة بعبارة أخرى أقل حدة منها مراعاة للجانِب النفسي. أما المترجم فقد فضل تجسيد المعنى المراد من العبارة كما هو « peut se retirer » ولم يحط في ترجمته بكل المعاني الواردة والمقصودة في العبارة المسكوكة، فالرئيس الجزائري وإن فتح باب التراجع للمسؤولين المحليين وترك مناصبهم لغيرهم، إلا أنه قصد بذلك شحذ الهمم لإيجاد مجموعة متجانسة تتميز بالقدرة على تحمل أعباء المسؤولية وتبعاتها.

إنّ اعتماد المترجم للخطاب الرئاسي لإحدى الترجمتين السابقتين كان بإمكانه إعطاء العبارة معنى قبول ثقل المسؤولية كعذر لعدم الكفاءة في تأديتها، وبذلك يحيد عن المعنى المراد من اعتماد العبارة.

إذن فقد أصاب المترجم مقصد صاحب الخطاب ومراده، غير أنه لم يعكس أسلوب لباقة في التعبير عن قصده، فمكانة ملقي الخطاب من المخاطبين - رئيس ومرؤوسين - تمنحه حرية التصريح واستعمال الأسلوب المباشر، إلا أنه تخلى عن ذلك الحق لصالح اللباقة وجمالية الأسلوب الإلقائي، وهذا ما لا يمكن للترجمة إظهاره باعتماد التجريد والصياغة المباشرة للمعنى المقصد.

2-4 التراكب اللغوي (la superposition linguistique) :

يعتبر التراكب اللغوي من أبرز مميزات الخطابات السياسية الجزائرية، إذ يعمد السياسي إلى الاعتماد عليه في إلقاء خطابه. إن كان هذا التراكب والجمع بين مختلف الأنظمة اللغوية في خطاب واحد دلالة واضحة على ثراء الزخم اللفظي المفرداتي لصاحبه، ويعكس مدى التراكم والتنوع التاريخي والثقافي الناتج عنه، فإن ترجمته تعتبر من أهم المشكلات التي يخلقها هذا النوع من الثراء التواصل، خاصة على مستوى التعابير المسكوكة.

إن كانت درجة الصعوبة في الترجمة تختلف بين ممتنهمها المحليين اختلاف درجة تمكنهم من اللهجات المحلية والعبارات المستعملة، فإن المترجم الغريب عن تلكم الثقافات المحلية يجد نفسه في مأزق الفهم قبل التأويل، ذلك أن اللغة تفهم فهما سليما على عرف أصحابها، فكيف إذن السبيل إلى ترجمة تلك التعابير الخاصة، إضافة إلى إبراز ذلك التعدد اللغوي المعتمد في نثر الخطاب؟ وما هو المهم والأهم في ترجمة التعابير المسكوكة في الخطابات المتراكبة لغويا؟ وهل يجوز للمترجم إهمال المهم من أجل الأهم؟

منحت رسمية اللغات في محيطها الجيوسياسي الرسمي صفة اللغة المثقفة. (koinè) بينما بقيت الدارجة المحلية تراوح مكانها رغم الثراء المعرفي والتواصل الذي تزخر به بصفتها وسيلة تواصل غالبية أفراد الشعب الواحد، وإن كانت اللغات المثقفة تتمتع بكم تعبيرية يمكن المفاضلة بينه ومقابلته بين اللغتين، فإن الدارجة المحلية تتمتع بكم بلاغي لا يمكن الاستهانة به، كونه يمثل تراكم تجارب عامة الشعب الذي يستعملها.

يضع ذلك الكم البلاغي المترجم للخطاب السياسي أمام إشكالية الحرج في حال عدم الإلمام به، وذلك بسبب تمتع نفس الدارجة المحلية بالتنوع الناجم عن تعدد اللهجات والأمثال والحكم المتصلة بها، ومن أمثال هذه العبارات نستحضر مناسبتين استعمل فيهما الرئيس الجزائري، السيد عبد المجيد تبون التراكب اللغوي، هما:

« روحوا العبوا مع نتاجكم ما تلعبوش معانا " Cette comédie doit ... on doit en finir »
« avec ce jeu »

في سياق الغش والخداع والفتنة في تجنب المقالب أورد الرئيس الجزائري في خطاب الولاية لشهر أوت من سنة 2020 عبارة مسكوكة من المستوى الشعبي المتداول "روحوا العبوا مع

نتاجكم"، وذلك في خضم حديثه عن الخداع والمقالب السياسية المحاكاة في إطار مغالطة السلطات العليا وتزييف الواقع وإعطاء صورة التفاني والانضباط.

تعني كلمة "نتاجكم" أقرانكم في السن؛ أي تقارب مستوى العمر وتساويه، وتكتنز هذه اللفظة بين طياتها دلالة ازدراء للمخاطب. والمقصود بها في العبارة المشتركون والمتساوون في مستوى الانحطاط الفكري والإيديولوجي، كما تشير كلمة "اللعب" إلى تدني مستوى التخطيط والتحليل إلى مستوى التصابي ولعب الصبيان. أمّا المراد بالعبارة المسكوكة فهو العلم المسبق بما يخطّط له من حيل، والدعوة إلى الكف عن الممارسات الاحتيالية والتحليلية، والارتقاء بمستوى التحدي إلى المطلوب.

وتجدر الإشارة إلى وجود عبارة مسكوكة على صورة مثل شعبي تجمع بين ازدراء السلوكات واحتقار الأشخاص "لعب الذرّ"، إلا أنّ هذا المثل الأخير لا يشير إلى التحايل والخداع وإنما إلى التصرفات العفوية والسلوكات العشوائية التي قد تكون عواقبها وخيمة.

لا شك أنّ في اللغة الفرنسية ما يدل على نفس المثل وينوب عنه في ثقافتها بحكم تساوي الثقافات الإنسانية من حيث التجارب الفردية، وأفضل ما وجدنا هي العبارة « jeu de dupes » والتي تشير إلى ازدراء الممارسات المكشوفة والخاسرة مسبقا.

اختار المترجم عدم ترجمة العبارة منفردة حيث اختار تضمين معناها فيما سبقها. فقد اختار المترجم التحريري للعبارة المسكوكة إظهارها في ترجمته واستحضرها بعزل معناها عن مبنائها مع الاحتفاظ بالكلمة المفتاح في العبارة والمتمثلة في كلمة "اللعب"، فكان الأمر بالتوقف عن السلوكات والممارسات المغالطة واضحا وجليا في ترجمته: « On doit en finir »

وللتأكيد على نوع الممارسات المطلوب إنهاؤها استعمل المترجم اسم الإشارة « ce » لتنوب عما قبلها في الجملة (مهزلة، comédie)، فكانت الترجمة على النحو « on doit finir avec ce je »

إنّ ترجمة مثل هذه العبارة "روحوا تلعبوا مع نتاجكم" تجعلنا نطرح تساؤلا مهما حول مستوى التأويل، أو ما تم التطرق إليه في الدراسات الأخرى تحت مسمى وحدة الترجمة. فهل يملك المترجم حق المفاضلة بين الوحدات الدلالية لترجمتها؟ ألا يعتبر إدماج تلك الوحدات الدلالية في وحدة واحدة بمثابة تعد على قوّة المعنى نفسه (ذلك أنّ التكرار تأكيد)؟ ألا يعتبر ذلك الفعل تعد صارخ على مراد صاحب النص (الوقوف عند نقطة لتأكيدها)؟ أم أنّ هذا

السلوك الترجمي يحمل بين طياته من النقد ما يحمل للخطاب الأصل بعدم الانصياع إلى الرغبة الكلامية لصاحبه ؟

أسقاز أمقاز

العبارة المسكوكة ذات الأصل الأمازيغي تداولها الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون على حسابه الإلكتروني "تويتر" لتهنئة الشعب الجزائري بحلول رأس السنة الأمازيغية الجديدة، وقد نقلته وسائل الإعلام الناطقة بالعربية والفرنسية كما هو وارد في خطاب الرئيس باللغة الأمازيغية.

وما كان استعمال الرئيس الجزائري لهذه العبارة واقتراضها في خطاب تهنئة مكتوب باللغة العربية إلا من باب تعزيز روابط الوطنية واللحمة الداخلية والانتماء إلى التاريخ المشترك بما يحويه من عادات وتقاليد وزخم ثقافي ولغوي.

لا شك في أنّ استعمال هذه العبارة له من الوقع في نفوس جموع المتلقين لها ما يبهج النفس من دلالة مناسباتية (تهنئة) وعلاقة انتمائية (التاريخ والثقافة) ومكانة رمزية ورسمية (إقرار بأصالة ورسمية اللغة)، مما جعل الصحف واليوميّات الجزائرية ووكالة الأنباء الجزائرية تنقلها كما هي وذلك حفاظا على ذلك الجانب المأخوذ من الثقافة الأصل للمخاطب وتجسيد ما أراده صاحب الخطاب من توظيفه للعبارة، فكانت الترجمة « assegaz-amegaz »

3-4 الاختلاف الثقافي (la divergence culturelle) :

"بعض هذه المصاعب أت مما يمكن تسميته بالحواجز الحضارية أو الثقافية بالمعنى الواسع. فبعض اللغات تتحدث عن وقائع غير لغوية لا وجود لها في لغة الاستقبال" (بحراوي، ح، 2015: 36) باعتبار اللغة من أهم مكونات الثقافة والعوامل الناقلة والعاكسة لها، وجب على المترجم احترام المحمول كما احترام الحامل، وذلك لبلوغ ذروة سنام الأمانة الترجمية. وإن كان التمكن من النحو وطريقة النظم لمختلف اللغات يكفي لنقل الحامل اللغوي، فإنّ المحمول الثقافي يطرح مشكلة أعمق من مجرد صياغة الجمل المكتملة المعنى والدلالة، لا يمكن بأي حال إنكار تمتع الثقافة بفضيلة السماح بالاختلاف، لكن هل يمكن للترجمة نقل هذا الاختلاف مهما بلغت درجته؟

« Lorsqu'il s'agit d'une rencontre interculturelle, les risques de désaccords, voire de dimension, sont accrus, du fait des malentendus

interculturels. La difficulté de parvenir à une relation de confiance surgit, souvent avec acuité » (Brinje,H, 2016 : 33)

إنَّ ما يزيد الطين بلةً والترجمة تعقيدا هو الشحنة الثقافية التي تحملها وتنقلها هذه العبارات خاصة في حال وجود صراع حضاري بين الثقافتين طرفي الترجمة، أو تباين واختلاف في المصدر والجذور، فليس بالإمكان نقل كل موجود إلا ما اشترك في علة الوجود، ذلك لأنَّ "الترجمة ليست انتقال النصوص بين اللغات وحسب، لكنها تعني أيضا وجود سلسلة انتقالات أخرى بفعل الكتابة وبشكل أكثر سرية بفعل الحياة والموت" (برمان، أ، 2010: 39)

إن كان احتمال وجود أمثال وحكم متماثلة الدلالة بين اللغات والثقافات بحكم تماثل الطبيعة البشرية للمنتسبين إليها واردا، فإن الاختلاف والتباين في المكونات الثقافية ووسط العيش وكذا نمطه ومستواه يجعلان نقل تلك الصور المختزنة في التعابير المسكوكة أمرا صعبا للغاية، ذلك بأنَّ "طبيعة الإنسان تشكل أساس الثقافة وأنَّ الثقافة هي أساس هوية الإنسان" (بيليسي، ك، 2018: 15)

إذا أخذنا عامل التاريخ والموروث التاريخي بعين الاعتبار، حيث يعتبران من أهم مكونات الثقافة بفضل عكسه للتجارب وسرده للروايات والأساطير، فإنَّ كل لغة بل وكل أمة تتمتع بموروث تاريخي يختلف عن الآخرين ويعكس تفرد وتميزه، ولعل من أبرز مظاهره الأسماء العلم التي تظهر في الأمثال والحكم، من أمثال : أبو رغال، أخلف من عرقوب ، أكرم من حاتم، أهل مكة أدرى بشعابها في اللغة العربية، وقد اعتادت العرب تعميم استعمال أسماء العلم على العوام الذين يشتركون في نفس الصفة مع المسعى، وفي اللغة الفرنسية مثل « la boîte de pandore » « piège de thucidius ».

ومع كل ما يكتسبه التاريخ من أهمية في تشكيل الهوية الفردية للأمم والشعوب إلا أنَّه لا يمثل إلا نوعا واحدا من الثقافة والمتمثل في ثقافة الماضي، حيث إنَّ الثقافة أنواع فمنها الثقافة المعاصرة والشعبية والثقافة العليا وثقافة الماضي وثقافة الأدب. (بيليسي، ك، 2018:

(8)

وبالتالي فإنَّ الثقافة تمثل اتحاد كل تلك العناصر المكونة للهوية إضافة إلى التطور النسبي الحالي المنبثق من التطور العلمي والاجتماعي للمنتسبين إلى اللغة والثقافة المحمولة عبرها والذي وصفته الدكتوراة ليلي عالم بالانرجسية وحب الذات والتفرد بالريادة، حيث قالت

"يرفض الغالب في خطابه أن يعتبر الآخر ندا له، بل أنه يسقط ذاتيته، فتتكون إشكالية البحث..." (عالم، ل، 2001: 113)

يعتبر الغرب الحضارتين اليونانية والرومانية القديمة خزان الثقافة وأساس المعرفة ومنبع اللغات، فتأثرت بذلك الحضارة والثقافة الغربية بالحضارتين أكثر من تأثر الشرق واللغة العربية بهما، حيث لم يتعد تعامل العرب مع اللغة اللاتينية حدود النهل من منابع العلم والفلسفة والمنطق معرضين عن الأدب اليوناني وآثاره، لأنهم كانوا يرون اللغة العربية أكمل لغة وأبلغها وبأنها تغنيهم عن أي بلاغة أخرى (برمان، 2010: 103)، في حين اعتبرها الغرب منهلا للأدب خاصة ما تعلق منها بالأساطير والملاحم والاستلهام منها فعبارة « la pomme de discorde » تتعلق بأسطورة يونانية، حيث لا يتأت للمترجم العربي النيل من معناها إلا بالرجوع إلى أصلها وسياق إيجادها واستعمالها، كما لا يمكن للمترجم غير العربي أن يفرق بين العبارات "آية الله" و"حجة الإسلام" وحتى الإمام والمفتي فيقع بذلك في اللبس ويخلط بين المذاهب والنحل.

تؤدي الطبيعة والوسط الذي تكونت فيه الثقافة دورا مهما في تكوين التعابير المسكوكة وطريقة بنائها والمفردات الداخلة في تركيبها والمعاني المقصودة بها، فالثقافة العربية المنتمية إلى المناخ الجاف والحار تميل إلى الاستبشار بالمطر والبرودة والقمر الذي يسطع أثناء الليل المعروف بانخفاض درجة الحرارة، ونضرب لذلك العبارة المسكوكة "أثلج صدري" والتي تفيد معنى إدخال الفرحة والبهجة والسرور؛ هذه العبارة لا يمكن ترجمتها كما هي في اللغات المنتشرة في الأقاليم الباردة نظرا لأن مصدر البشرى عندهم هو الحرارة والدفع فيقال « m'a chauffé le cœur » وكذلك العبارة العربية "وهل يخفى القمر" والتي تضرب للمدح والثناء تترجم بـ « il brille de mille feux »

ونضرب في هذا الصدد مثلين لعبارتين مسكوكتين تباين ترجمتهما:

« Chat échaudé craint l'eau froide » "نفضل الابتعاد عن هذا"

رأى هذا المثل النور في القرن 13م، حيث علّق عليه فرانسوا أوغستين في رسائله الفلسفية قائلاً بأنه لا يمكن خداع القط إلا مرة واحدة فقط طوال حياته، ذلك لأنه يتمتع بنوع من الحذر والكياسة نحو من خدعه كما مظاهر الخداع والوسائل المستعملة فيه في المرة

الأولى، فإن كان الماء الساخن قد ألحق به الأذى فإنه سيتجنب التعامل مع الماء حتى ولو كان بارداً.

تعكس المكونات اللغوية في ترتيبها السردي قصة يمكن أن تكون خرافة لأنها مستخلصة من عالم الحيوان كما يمكن أن تكون ثمرة تجربة وتأمل فلسفي لذات العالم، وبغض النظر عن كون هذا المثل الخرافي خرافة أو لا، فإنّ الأكيد أنه يشير إلى وجود ظاهرة متأصلة في عالم البشر والمتمثلة في الخداع والمكر والكذب فيحذر منها من جهة، وينتقد السذاجة والغفلة التي تؤدي بصاحبها إلى تكرار نفس الخطأ بنفس الطريقة من جهة أخرى.

استعمل الرئيس الجزائري هذه العبارة في لقائه الصحفي مع قناة فرانس 24، وذلك في سياق إجابته عن إمكانية لجوء الجزائر إلى الاقتراض من بنك القرض الدولي في ظل تناقص احتياطات الصرف من العملة الصعبة وتضخم الاقتصاد الجزائري بنسبة 5%.

يكتنز استعمال السيد الرئيس للعبارة بين طياته تجربة أليمة عرفت البلاد مع الهيئة البنكية نفسها، كما يدل على أن تلك التجربة كانت بنفس القناع المخادع والمتمثل في المساعدة المادية لتخطي الأزمة والصعوبات الاقتصادية. وبذلك يكون قد جمع في استعماله تلك العبارة بين رفض الاقتراض وعلمه بخبايا صندوق النقد الدولي، ومع هذا فقد عقب على كلامه بأن البنك الدولي يرافقه ويتابع الأمور عن كثب وأن البلاد لن تتوان عن طلب المشورة والدعم إن اقتضى الأمر.

يدفع هذا الفضول إلى طرح تساؤل حول اختيار هذا المثل الرمز بالذات في هذا السياق السياسي المتناول للتعاملات مع البنك الدولي، فهل يقصد السيد الرئيس من خلاله اعتماده مثلاً رمزياً بأنّ الاقتراض والتعامل مع هذه المؤسسة الشمولية يفقد الإنسان إنسانيته؟ أم أن مقصده لا يتعدى الفطنة والحذر والحكمة المكتسبة بفضل التجربة؟

من منطلق أنّ الثقافات تتمتع بنفس درجة الثراء في التعبيرات المسكوكة المستوحاة من التجارب الإنسانية فقد أفضى بحثنا عما يكافئ هذا المثل في العربية إلى إيجاد عبارتين:

- الأولى تتمثل في حديث رسول الله ﷺ "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين" (رواه البخاري) - الثانية تتمثل في المثل الذي أورده نعوم حجار في منجده "من لدغته الأفعى يخاف من الحبل".

تشترك العبارتان في فعل اللدغ المفاجئ والمفيد لمعنى الخداع، كما تشتركان في الحذر من تكرار التجربة نظرا للضرر الذي يلحقه اللدغ بضحيته التي تستحضر مشهده كلما رأت ما يذكرها به (الجحر في الحديث النبوي، والالتواء في المثل).

استعمل الرئيس الجزائري هذا المثل لتأكيد ما سبقه من الكلام بتفضيله عدم اللجوء إلى صندوق النقد الدولي في قوله بالفرنسية « nous préférons éviter le FMI ». فجعل بذلك المترجم مكتفيا بترجمة العبارة التي سبقتها "نحن نفضل الابتعاد عن هذا". اعتمد المترجم على نظرية المعنى في ترجمته لذات العبارة، إلا أن الوحدة الترجمية التي اعتمدها تجاوزت العبارة المسكوكة بحد ذاتها إلى سياق الكلام الواردة فيه، وبذلك فقد فضّل ترجمة العبارة المسكوكة في إطارها النصي مدمجا معناها مع سابقتها ومكتفيا بترجمة الأولى لكفاية المعنى المؤدى منها من جهة، واستثمار هامش الزمن لالتقاط أنفاسه ومواصلة ترجمة كلام الرئيس الجزائري من جهة أخرى.

وقد استطاع المترجم ترجمة العبارة المسكوكة في إطارها النصي وتضمين معناها في لفظ "هذا"، حيث إن كلمة هذا تشير إلى البنك الدولي وعملية الاقتراض كما يمكن أن تشير إلى معنى الشّرك، ذلك لأنّ المترجم كان بوسعه ترجمة العبارة الأولى: « nous préférons éviter le FMI » إلى "نفضل الابتعاد عن صندوق النقد الدولي" وبذلك فقد ضمّن ترجمته معنى ظاهرا (تفادي التعامل مع البنك) ومعاني واردة (تكرار التجربة).

« Nous allons vers quelque chose qui nous soit propre... que vérité en deçà Pyrénées, erreur au-delà »

"نحن لدينا ثقافتنا الخاصة، سنخترع نموذجنا الخاص التقليد الأعمى لا يؤدي إلى شيء، بعد جبال الربيبي الذهنيات تختلف جنوبيا"

أوردت معظم المراجع التي تناولت هذا المثل السائر أنّ بدايته كانت عبارة أنتجها بليز باسكال (Blaise Pascal)، عرفت طريقها إلى المسكوكية ودخول قاموس الأمثال السائرة الفرنسية بفضل أهميتها المنطقية الفلسفية وكثرة تداولها في الأوساط الفرنسية على اختلاف مستوياتها (موقع 2006, Dictionnaire cordial).

للتمكن من العبارة المسكوكة وجب التمكن من مبناها ومعناها، والاستدلال على المحتجب من القول بالظاهر منه، فالمثل السائر الذي استدعاه السيد الرئيس عبد المجيد تبون

يتحدث عن الحقيقة، والحقيقة كما وصفها علي حرب في كتاب الممنوع والممتنع هي حقيقة الكائن عينه. وبذلك فإنّ السيد الرئيس يتحدث عن حقيقة وكيان وكيونة دولة، وذلك بوصفه رئيسها وممثلها الشرعي والمتحدث باسمها في الإطار السياسي للحوار مع قناة فرانس 24، كما أنّ الحقيقة لا تنحصر في كينونة الدولة ولكنها تتعداها إلى ما تمليه عليه تلك الكينونة.

وكينونة الدولة هي قوتها ومداهها الوجودي وقدرتها على تسيير ما هو داخلي والانفتاح والتوسع على ما هو خارجي، إنها النظام السياسي المنتهج والرؤية المتبعة لتحقيق جملة أهداف مسطرة؛ فالنظم السياسية تختلف من قطر لآخر باختلاف الثوابت والأفكار والرؤى. كما أورد السيد الرئيس في الحوار:

« Nous avons notre propre culture »

تختلف النظرة إليها ودرجة تقبلها والافتناع بها حتى داخل نفس الكيان السياسي، لذا فإننا نلمس تعددا في التيارات والرؤى السياسية.

إنّ رغبة واشتهاء صائغ وملقي أيّ خطاب استحضار عبارات خاصة من ثقافة معينة دون أخرى لنظم تعابيره لا يعني سوى أنّ تلك البنيات اللغوية المستدعاة هي الوحيدة القادرة على إكمال البنية العامة للخطاب أو النص وإتمام المعنى المراد من صياغته وتأدية المفعول المرجو منها، فهي تكمل البنى الناقصة في ذهن المتلقي بما يروقه ويقنعه.

لا يمكن إغفال إنّ من الأمثال والحكم خاصة والتعابير المسكوكة عامة ما يحيلها إلى هوية ثقافية أو جغرافية معينة كما في المثل المذكور، فجبال البيريني المذكورة في المثل السائر أعلاه تفصل بين فرنسا وإسبانيا، وبذلك فإنّ استعماله يضع متلقي الخطاب وعلى رأسهم مراسل قناة فرانس 24 أمام حتمية العودة إلى ثقافته الأصل، والبحث في المقدس عنده من الحكم والتعابير، ذلك أنّ الشعور بالانتماء الهوياتي بكل مكوناته يطغى على طبع الإنسان، فيضعه موضع القوي المدافع عنه في حال التحدي وفي موضع الضعيف الخانع له في حال الطاعة، حيث يذكرنا هذا الموقف بمقولة نيلسون مانديلا "إذا كنت تخاطب شخصا بلغة يفهمها، فأنت تحدث عقله، أما إذا كنت تخاطبه بلغته الأم فهذا يعني أنك ستبلغ قلبه".

فيكون بذلك أصل العبارة المسكوكة مصدر قوة مستعملها وحجة له على المتلقي ومبررا له في فرض منطق، ذلك لأنه استدعى الحجة اللغوية الثقافية الظاهرة في الثقافة الفرنسية بأنّ

الحقيقة تتغير بتغير السياق المكاني والزمني، وأفضل دليل على اختلافها هو الحاصل بينها وبين جارتها إسبانيا.

تتنوع استعمالات المثل الفرنسي بتنوع سياقات وروده رغم صحتها في نفس المعنى، فاستدعاؤه يمكن أن يكون بداعي دعم الطرح وإقامة الحجة والبرهان، ممن يدعون احتكار الحقيقة الوضعية، فالاختلاف لا يفسر بالصّح والخطأ، وإنما باختلاف الرؤية الشخصية والتأويل الذاتي والثوابت المعتمدة في تشكيل تلك الحقيقة.

ورد هذا المثل السائر في منجد نعوم حجار مرافقا لترجمة فضلت استبدال الحاجز الجغرافي " جبال البيريني " بأدوات إشارية تفيد معنى التباعد الوجودي "هنا، هناك" لما يتعلق بها من مسند لغوي، فكانت الترجمة كالتالي "حقيقة هنا، ظلال هناك".

إذا ما استثنينا السبب المذكور أعلاه لاستدعاء هذه العبارة المسكوكة الفرنسية، فإنّ السبب الحقيقي وراء اختيارها رغم تناسبها يبقى غامضا، غير أن هذا الغموض لن يحول دون افتراض أسباب يمكن أن تكون هي الدافع الإرادي أو اللاإرادي لاستحضارها كالمخزون الثقافي وازدواجية اللغة المبكرة عند السيد الرئيس، ونظرا لما للسبب الحقيقي من دور في توجيه الخطاب والعبارة والسلوك التحليلي للمتلقى والمترجم فإنّ التعامل مع هذه التعابير يصبح أكثر إغراءا للتعرية ومشقة للترجمة في الوقت نفسه.

ولأنّ الدوال اللغوية المكتملة الزخرفة هي التي تحرض ذهن المتلقي على سلوك نهج المغامرة التصورية أو توجيهه نحو البحث الممتع عن وفي عوالم غير مكتشفة، فإنّ المترجم فضل اعتماد الحرفية في ترجمته العبارة المسكوكة إلى العربية محافظا على الروح الثقافية الفرنسية الأصل بدليل محافظته على المعلم الجغرافي المتمثل في جبال البيريني، وبذلك يكون المترجم قد فضل عربنة المثل السائر على تعريبه.

إن كان هذا المثل الفرنسي السائر قد أغوى المترجم بالمحافظة عليه وإلباسه لباسا حرفيا عربيا وزينة فرنسية لا تتناسب مع ذلك الرداء اللغوي العربي، فما الذي سيطره ليغوي متلقي ترجمته للبحث في أغوار ترجمته، ويجعله يوافق على مقارنته المعتمدة؟

إنّ ما ذكرناه من تحريض الدوال اللغوية المكتملة الزخرفة لذهن المتلقي على سلوك نهج المغامرة التصورية لواقع، غير أنها لا تتم في سياق خطابي سياسي متصل الدوال يعطي

أولوية الدلالة الخطابية على الدلالة الفردية للتعابير تماما كما تتجاوز التعابير المسكوكة الدلالات الفردية لمكوناتها اللفظية، بل تتم في سياق منفرد أو سياق أدبي يجعل من المغامرة التصويرية فضيلة للمتلقى المتميز.

عربنة المثل السائر من طرف المترجم الفوري لقناة فرانس 24 باعتماده الترجمة الحرفية في نقله إلى الجمهور الجزائري الهدف تعتبر إجهادا لهذا الأخير وتغييبا لثقافته بمحاولة زرع مقارنة دلالية غريبة عنه وعن حدود المتعارف عليه في أوساط العامة، فالثابت عند المتلقي هو تغير العادات والقناعات بتباعد المسافات ومن بين الحواجز الطبيعية المؤثرة في طول المسافة وقصرها نجد البحر. كان بإمكان المترجم المحافظة على الدلالة المعنوية لجبال البيريني كحاجز طبيعي والقول إن "الحقيقة شمال البحر تختلف عن جنوبه" إشارة إلى الدوليتين المعنيتين بالمقابلة والمقارنة، أو استعمال ترجمة نعوم حجار الواردة في معجمه "حقيقة هنا ضلال هناك".

بهذا تكون الترجمة الحرفية قد ابتعدت عن المعاني الخاصة والشرطية الثقافية والتاريخية التي تحدد شكل التعابير المسكوكة وحدودها التداولية والدلالية إلى الشكلية التكوينية للخطاب والعبارات لتبقى بذلك سجينة الحياد والمقاربة المجردة بين الحقول الدلالية للمفردات المكونة لتلك التعابير الخاصة.

4-4 التباين الإيديولوجي (la variance idéologique):

باعتبار أن الترجمة ممارسة نصية تجريبية قائمة على خلفية إبستمولوجية وإيديولوجية (بحراوي، ح، 2015: 17)، فإن اختلاف الأديان والمعتقدات أو ما يسمى بالثقافة العليا، يؤدي دورا هاما في اختلاف الثقافات وتباينها بوصفه أهم دعائمها.

تبقى النصوص المقدسة من أهم مصادر التعابير المسكوكة، ويبقى اعتمادها في الخطابات السياسية من أهم الوسائل الناجعة التي من شأنها إعطاء الرسالة التواصلية بعدا انتمائيا إلى ما هو مقدس عند متلقيه، فيُكسب بذلك صاحب الخطاب خطابه صفة القداسة، وأفكاره صفة الكمال وعدم قابلية النقد أو التنفيذ. فاستعمال رؤساء الجزائر لعبارة "المجد والخلود لشهدائنا الأبرار" فيه إبراز للانتماء الهوياتي إلى الوطن والدين، لكن ترجمتها إلى الفرنسية من طرف فرنسيين تعتبر بمثابة إقرار لجرائم استعمارية لا يريد الاعتراف بها، بل

ويمجد ذلك التواجد في الجزائر بقوله « Alger, prison de tant de martyrs » ووصفه الأهالي الجزائريين بـ « les hordes barbares » (De Fontaine R, 1837 : 3).

ونضيف لهذا مثال العبارة التي اجتاحت العالم السياسي سنة 2018 والتي تمثلت في شعار "صفقة القرن" الذي يعتبر واجهة لمشروع سياسي أمريكي لتصفية القضية الفلسطينية، حيث استعملت بعض الدوائر السياسية في العالم العربي والمالية للمشروع عبارة "صفقة القرن"، واستعملت أخرى معارضة له عبارة "صفقة القرن"، بينما استعملت الدوائر السياسية المناهضة للسياسة الأمريكية عبارة "بصقة القرن".

ومع هذا فإنّ الثقافة تستلهم التسامح وقبول الاختلاف من الإنسانية التي أوجدتها، لكن في إطار احترام الآخر، لذا كان لزاما على المترجم أن يستجيب للدرغيتين ويتقن الثقافتين للتوفيق بينهما، فإن أخذنا العبارة الفرنسية « avoir la baguette magique » والمستعملة كثيرا في الخطابات السياسية الفرنسية وحتى البابوية منها، فإن ترجمتها بغرض استعمالها في الجزائر مثلا لا يصح، ففي الثقافة الفرنسية يوجد السحرة الطيبون والأشجار، أما في الدول المسلمة فلا يفلح الساحر حيث أتى، ومنه فإن أقرب عبارة يمكن استعمالها للدلالة على القوى العجيبة والقدرة على التغيير اللحظي هي "امتلاك خاتم سليمان".

كما أن لهذا الاختلاف الإيديولوجي دورا في إبراز الهوية الفردية والمجتمعية لفئة ما وتميزها عن الآخر ومن ذلك نذكر مثال: صندوق باندورا (مصدر الشر في الثقافة اليونانية) يقابله آلهة الليل في الأساطير البابلية والسومرية ولعنة الفراعنة في الحضارة المصرية.

4-5 الشحنة العاطفية (la charge émotionnelle) :

ذهب لهر Lehre أبعد من الشحنة الثقافية متطرقا إلى الشحنة العاطفية وكمال اللغة الأصل في تجسيد فكر المتكلم بها، واحتواء كلماته المنتقاة من نفس لغة تفكيره لتلكم الشحنة العاطفية التي اختزنها في ذلك الكم اللفظي، حيث لن تصل حسبه لغة إلى وصف ما أراد وصفه وقول ما أراد قوله إلا كلمات لغته الأم لأنها لغة تكوّن الأفكار والأحاسيس لديه، فقال "إذا وُجدت وبطريقة أخرى، لغة للحقيقة يحتفظ فيها بالأسرار النهائية التي يسعى إليها كل فرد بسهولة وصمت، فإن لغة الحقيقة هاته ستكون هي اللغة الحقيقية. غير أن هذه اللغة التي يأمل الفيلسوف في استشعارها ووصفها بإتقان، تختفي بالضبط، وبشكل مكثف، داخل الترجمات..." (برمان، أ، 2010: 36)

والمقصود بالشحنة العاطفية ذلك الزخم من الأحاسيس المتنوعة التي تدفع صاحب الخطاب إلى إلقائه، واختيار التعابير والألفاظ التي تنم وتعكس تلك الأحاسيس والهواجس المتراكمة في وعي ملقمها، لتتجسد على شكل نبرات وتعابير موظفة لتأدية واجب، أو للتحسيس بالواجب والحث على إتمامه، أو الدفاع عن شرعية قضية سياسية كالقضية الفلسطينية في الجزائر، أو التعبير عن الفخر والاعتزاز الانتمائي كما هو الحال في الجزائر.

وردت عبارة "القضاء على العصاة أو نهلك دون ذلك" Forts de notre détermination... éradiquer... la Issaba أول ما وردت - حسب ما وصلنا - على لسان رسول الله ﷺ في موقف خُيّر فيه بين ترك نشر الرسالة والقضاء على الوثنية مقابل المال والسلطة، حيث كانت رؤوس النظام السابق للبعثة تعارض المشروع الإسلامي الجديد، وما زاد المهمة صعوبة إلا تمتّع تلك الطبقة بسلطة المال والسياسة.

ولعل وجه الشبه بين سياق العبارة الأول وسياق ورودها في خطاب الرئيس الجزائري السيد عبد المجيد تبون هو وجود نظام بعقلية قديمة سائدة يسعى إلى عرقلة ونبد كل جديد. وما كان ورود العبارة إلا في سياق تأكيد العزيمة بمواصلة العمل على نفس الصراط وبنفس الوتيرة والمنوال الجديد لتحقيق وتجسيد الهدف وبلوغ الغاية، إضافة إلى طلب الدعم والسند من متلقي الخطاب (أبو طالب في السيرة النبوية، والولادة في خطاب الرئيس)، ومن أهم ما يعكس تلك القوة والعزم هو افتتاح العبارة بحرف "القاف" حيث يحمل هذا الحرف الانفجاري دلالة القوة والعزيمة والشدة، ذلك أن الحرف القوي يأخذ أقصى إحياءاته في القوة والفعالية والغلظة عندما يكون في أول اللفظة والكلام. (عباس، ح، 1998: 39-41)

لم يرد التخيير مفيدا معنى التخيير كما تشير إليه الأداة "أو" في الخطاب الأصلي، وإنما كان اعتماده في سياق بلاغي ينفي إمكانية الاختيار في الموضوع المتحدّث فيه، مفيدا بذلك معنى الاستمرارية على النهج المتبع و"الإقدام".

تذكرنا هذه العبارة بأخرى للرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين، حيث جاء في خطابه للجيش الجزائري قبل الحرب العربية الإسرائيلية تخيير لأفراد الجيش بين النصر والشهادة قائلا: "أمامكم طريقين، فإما النصر أو الشهادة" حيث تضمن هذا الأسلوب البلاغي معنى عدم وجود إمكانية الاختيار بين النصر ونقيضه.

لم يرد أسلوب التخيير في الترجمة المعتمدة، بل اعتمد المترجم على التصريح بقوة العزيمة والعزم على المضي قدما لتحقيق الهدف المرجو تحقيقه « Forts de notre détermination » .

بالعودة إلى ماهية الترجمة وتعريفاتها ومختلف النظريات الدارسة لها ولطرائق الترجمة، نستحضر المقاربة الناصّة على أن المترجم يجب أن يقول ما كان صاحب الخطاب الأصل سيقوله لو تحدث بتلك اللغة الهدف. ومن هذا المنطلق تتبعنا خطابات السيد رئيس الجمهورية باللغة الفرنسية فلم نجد لعبارة « forts de notre détermination » استعمالا في خطابه، حيث كان يفضل استعمال صيغة الوجوب « on doit » أو « il faut » وكلمة الهدف « notre objectif »، فإتمام الواجب وبلوغ الهدف يستوجبان دربا وعزيمة قوية لبداية السير عليه ومواصلته وإتمام المسير، ولكننا لم نجد أيضا تكرارا للسياق الذي وردت فيه العبارة الأصل بالعربية في خطابات السيد الرئيس بالفرنسية.

ومهذا لا يمكننا إثبات أو نفي بأن المترجم قد خالف أسلوبية صاحب الخطاب التداولية في اللغة الفرنسية ليثري خطابه بلاغة ويزيد المعنى قوة وثباتا، ولا يسعنا إلا زيادة الغوص في الدلالات ومقابلتها.

إن كان المعنى الخفي للعبارة يفيد قوة العزيمة على مواصلة الدرب، فإن المعنى المستقى من مكوناتها اللغوية يفيد وجود إمكانية الهلاك في سبيل بلوغ المرام، فباعتماده تسمية العصاة مع علمه المسبق أن الفئة المقصودة به تأنفه يكون قد انظم إلى أعدائهم وكسر رمحا بينه وبينهم، ومع محافظة الترجمة المعتمدة على الجانب المقصود من صياغة التعبير باعتماد الاقتراض « issaba »، إلا أنها لم تبرز ذلك الجانب اللغوي الواصف لإمكانية التضحية من أجل تحقيق الهدف المنشود، وهذا ما ذهب إليه بيتر نيومارك حيث قال إنه أثناء عملية الترجمة لا بد أن يضع شيء من المعنى وهذا بسبب التوتر المستمر القائم بين لغات العمل الترجمي، (بحراوي، ح، 2015: 24) كما سلخت الترجمة معنى العزم من رداءه اللغوي الذي منحه درجة المسكوكية ويذكرنا بقداسة العبارة الأصل وقداسية صاحبها.

كان بمقدور المترجم إضافة عبارة مكافئة لمعنى التضحية مثل « à tout prix » أو « coûte que coûte » وما يماثلهما من العبارات التي تعني "مهما كان الثمن"، أو حتى اعتماد الترجمة الحرفية لإعطاء العبارة المترجمة نفحة عربية في الكناية عن رفع التحدي وقوة

الإرادة، وكذلك في صياغة أسلوب التخير، لكن المترجم اختار اختراق الحجب اللغوية والأسلوبية لإعادة بعث المعنى في جسد لغوي يختلف عن ذلك الذي أوجد فيه.

إنّ اعتبار هذا التغيب للجانب الشكلي - من أسلوب بلاغي (التخير) وإيحائي (التضحية) - خيانةً للشكل وجمالية العبارة الأصل يصطدم بأمانة الترجمة للمعنى، ذلك أنها جاءت عاكسة لمعنى العزيمة القوية « forts de notre détermination » على مواصلة الطريق لتحقيق الهدف المرجو بلوغه « à éradiquer... » ، وقوة العزيمة على تحقيق هدف ما دليلً على شدة المصاعب المانعة من بلوغه، ذلك أن المغنم على قدر المغرم.

5- حوصلة:

سكّ التعابير يراد به إنتاج كلام أكفأ؛ أي أن تؤدي التعابير المسكوكة المراد من سكها أفضل مما يؤديه مألوف الكلام، مهما كانت حاجة الاحتكام إليها وظروف استدعائها. كما أنّ ترتيب الألفاظ والكلمات في التعابير المسكوكة مقصود متأمل فيه أكثر من العادي من الكلام، لذلك فالصعوبة في التعابير المسكوكة تأتي من الحيرة التي تفرضها طبيعتها على متلقيها، فهي تتشكل من اتحاد ألفاظ وكلمات منتقاة بعناية لتأدية المغيب من المعنى والدلالات المستترة بالكلمات التي تستقل عنها في فرديتها. وعليه فإنّ ما يجعل من الصعوبة إدراك معانيها ونقلها إلى اللغات الأخرى يكمن في عمق تلك الدلالات المستترة وقوتها وخصوصيتها الأسلوبية والتركيبية وحتى الثقافية.

تتعدى تلك الصعوبات في ترجمتها لتشمل سياق استدعائها وورودها وظروف البحث عما ينوب عنها في اللغة الهدف، فترجمة الخطابات السياسية كالمثي وسط حقول الألغام، ذلك أنّ السياسي يميل في بعض الأحيان إلى عدم إلزام نفسه بصريح الكلام واستعمال المهم منه أحيانا أخرى.

على الرغم من الاختلاف الواضح في البنى الثقافية والتعبيرية والبنائية والأسلوبية، فإن المترجم مجبر على إيجاد مأوى وملجأ يؤويه من تسلط النص الأصلي وعنقوان اللغة والثقافة المترجم إليها. فيرضي أنانية الأصل من جهة، ويتملق الترجمة من جهة أخرى، وذلك حتى يتسنى له إرضاء السيدين رغم مزاجهما المتقلب. فالهدف الأساسي لكل ترجمة هو إقامة علاقة مع الآخر على مستوى المكتوب أو المنطوق، وإخصاب الثقافة الخاصة عبر تلاقحها مع الثقافة الأجنبية.

يقتضي هذا الهدف خلخلة البنية المتمركزة عرقيا داخل الثقافات والمجتمعات التي تريد أن تجعل من ذواتها كيانات خالصة غير ممزوجة، على اعتبار أن كل ثقافة تسعى إلى أن تكون مكتفية بذاتها، حتى تتمكن عبر هذا الاكتفاء المتخيل من بسط إشعاعها وسيطرتها على الثقافات الأخرى. ولعل ما يطمئن المترجم ويحفزه على الخوض في ترجمة هذه التعابير الخاصة هو كون معظمها من بنات فكر الإنسان، أو موجهة إليه للتدبر فيها والنهل من معين مائها، وذلك لثبوت وحدة الفكر الإنساني وتلاقي الخواطر البشرية في المواضيع الأساسية التي تلم بحكمة الشعوب على مرّ الزمن.

ينتقد المترجم ضمنا تلك الشيفرات اللغوية التي عملت يد الإتيقان فيها بعناية، فأحيانا يبرق بهذه الانتقادات حين تبين ترجمته كيف أن هذه الشيفرات يمكن تلخيصها، وينكر أحيانا أخرى أهميتها اللغوية بإهمالها دون الإخلال بالرسالة المحمولة عبرها، ويتبع أحيانا أخرى رموزها اللغوية لفك تشفيرها ونقل ذلك النظام الموجد لها إلى اللغة الهدف. إلا أنه في نفس الوقت يثبت تأمله في تلك التعقيدات البلاغية والصيغ الأخرى وقراءته المتمعنة للخطاب، فيثبت لنا ندية اللغات والثقافات باستحضار التعابير المسكوكة الهدف للقيام مقام الأصل.

المراجع:

الكتب:

- الجرجاني عبد القاهر. (1981)، كتاب دلائل الإعجاز. دار المعرفة. ج 1. بيروت. لبنان.
- الصوري عباس، (2002)، في بيداغوجية اللغة العربية، الرصيد المعجمي الحي، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.
- عباس حسن. (1998)، خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العرب، دمشق. سوريا.
- ريكور بول. (2008)، عن الترجمة، ترجمة حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، القاهرة، مصر.
- عناني محمد. (1992)، فن الترجمة. دار غريب. القاهرة. مصر.
- كريم زكي حسام الدين. (1985)، التعبير الاصطلاحي. مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة. مصر.

- بيلسي كاثرين. (2018)، الواقع والثقافة، ترجمة باسل الخطيب. الهيئة السورية للكتاب، دمشق، سوريا.

-برمان أنطوان. (2010)، الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة عز الدين الخطابي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت. لبنان.

- بدوي سعيد. (1973) *مستويات اللغة العربية في مصر*. دار المعارف. القاهرة. مصر.

-بحراوي حسين. (2015)، مأوى الغرب، دراسات في شعرية الترجمة، المركز القومي للترجمة، القاهرة. مصر.

- بولعلام علي. (2017)، التعابير المسكوكة والترجمة. أطروحة دكتوراة. جامعة سيدي محمد بن عبد الله. فاس. المغرب.

- نعيم حجار جوزيف، (1986)، المنجد في الأمثال والحكم والفوائد اللغوية، دار المشرق، بيروت. لبنان.

- De Fontaine de Resbecq A. (1837) *Alger et les côtes d'Afrique*. Gaume frères librairies. Paris.

- Leroi, M-V. (2004) *Le traitement automatique et lexicographique des locutions verbales figées en français*. Mémoire de recherche. Université Paris 3. Sorbonne Nouvelle ILPGA.

المقالات:

- عقيلة مصيطفى. (2013)، نظرية المعنى ومقاصد الخطاب من خلال دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني. مجلة الواحات للبحوث والدراسات. العدد 19. ص (21- 30)، المركز الجامعي غرداية. الجزائر.

- رزيق حنان، (2017) ترجمة العبارات الاصطلاحية في الخطاب السياسي، مجلة دفاتر الترجمة، العدد 8، ص (53- 62) جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر2.

- عالم ليلي. (2001)، إشكالية الترجمة، مجلة المترجم، المجلد 1، العدد 1، ص (111- 114)، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/128850>

- Brinjay, H. (2016) *Interculturalité et traduction des expressions figées*. Synergies monde arabe. N°9. Revue du Gerflint (France), PP. (23- 40).

المراجع الإلكترونية:

Dictionnaire cordial, 2007. (11/11/2021)

<https://www.expressio.fr/expressions/verite-en-deca-des-pyrenees-erreur-au-dela>